

المحاضرة الرابعة: طرق البحث في علم النفس التربوي:

تمهيد:

من خلال عرض المبادئ الأساسية في علم النفس التربوي المتمثلة في الفهم والتنبؤ والضبط يمكن تصنيف العلاقات بين الظواهر إلى علاقات منطقية وزمنية ووظيفية كما يمكن تصنيفها أيضا إلى علاقات ارتباطية وعلاقات سببية، وذلك طبقا للمنهج الذي يستخدمه الباحث لدى دراسة الظاهرة.

وتدل العلاقة الارتباطية إلى نزعة بعض الظواهر أو المتغيرات للحدوث معا، دون ان تعكس بالضرورة غلى ما يسمى بالسبب والأثر، اما العلاقة السببية فتدل على اثر متغير ما في متغير آخر، بحيث يؤدي التغيير الذي يطرا على المتغير الأول إلى تغير في المتغير الثاني. وتحديد طبيعة العلاقة على أنها ارتباطية أو سببية ذو أهمية كبيرة

فعلم النفس التربوي، لما يترتب على ذلك من نتائج علمية ترتبط بطبيعة استخدام العلاقة ذاتها ، فقد بين علماء النفس منذ زمن طويل ان ذوي معدل الذكاء المرتفع ينزعون إلى امتلاك حصيلة لغوية اكبر من ذوي الدخل المنخفض.

1. منهج الدراسات الارتباطية:

تنزع بعض المتغيرات إلى الاقتران او الوجود معا في الكثير من الاوضاع التعليمية المختلفة كالتحصيل والدافعية والذكاء والميول وغيرها... ويحاول الباحثون في علم النفس التربوي التأكد من مدى الارتباط الموجود بين هذه المتغيرات لدراسة العلاقة بينها ن وذلك باستخدام الطرق الارتباطية ، وتعتبر هذه الطرق هامة في مجال البحث في علم النفس التربوي ، لأن العديد من موضوعات هذا العلم ، لا تخضع بسبب طبيعتها لأسس البحث التجريبي ، حيث يقوم المنهج الارتباطي في العلوم الاجتماعية والانسانية مقام التجريب في العلوم الطبيعية. لذا يعتمد الباحثون إلى تكميم الظواهر الكيفية ن ومعالجتها إحصائيا لدراسة الارتباط بينها. (نشواتي، 2003)

1.1. معامل الارتباط:

يستخدم معامل الارتباط للدلالة على القيمة الرياضية التي تمثل الارتباط بين متغيرات الظاهرة وتتراوح قيمتها بين -1 و+1 ن ويعطي معامل الارتباط للباحث فكرة عن حول وجود الارتباط وشدته واتجاهه. فإذا كان معامل الارتباط مساويا للصفر دل ذلك على عدم وجود أي ارتباط بين المتغيرين كالارتباط بين الوزن والذكاء ، ويزيد هذا الارتباط قوة كلما اقترب من الواحد ، ويبدل على أن الارتباط إيجابيا عندما يأخذ معامل الارتباط قيمة موجبة ن

ويكون الارتباط سلبيا إذا أخذ معامل الارتباط قيمة سلبية. ويرمز عادة لمعامل الارتباط بالرمز (r).

ويشير معامل الارتباط الإيجابي إلى أنه كلما ارتفع مستوى أحد المتغيرين يصاحبه ارتفاع في المتغير الآخر والعكس صحيح . كما يشي الارتباط السلبي أنه كلما زادت قيمة احد المتغيرين انخفضت قيمة أو مستوى المتغير الآخر والعكس صحيح .

2. المنهج التجريبي la méthode expérimentale :

إن الباحث الذي يستخدم المنهج التجريبي في بحثه لا يقتصر على مجرد وصف الظواهر التي تتناولها الدراسة ، كما يحدث عادة في البحوث الوصفية، كما أنه لا يقتصر إلى مجرد التأريخ لواقعة معينة ، و إنما يدرس متغيرات هذه الظاهرة، و يحدث في بعضها تغييرا مقصودا ، ويتحكم في متغيرات أخرى ليتوصل إلى العلاقات السببية بين هذه المتغيرات . ويتبع الباحث عند اختياره للمنهج التجريبي الخطوات التالية.

1. تحديد كل من التغير المستقل والمتغير التابع.

2. ضبط المتغيرات الطفيلية او الدخيلة من خلال التوزيع العشوائي لعينات الدراسة لإزالة اثر الفروق بين هذه المجموعات .

3. تقسيم مجموعات المعالجة إلى مجموعات تجريبية تخضع لتأثير المتغير المستقل، ومجموعة ضابطة لا تخضع للمتغير المستقل وذلك لمقارنة نتائج المجموعتين.

4. استخدام اساليب إحصائية مناسبة للتأكد من دلالة الفروق بين المجموعتين وبيان أن هذه الفروق حقيقية وليست راجعة إلى عامل الصدفة أو الخطأ.

ويحتاج التجريب في العلوم الاجتماعية والانسانية إلى كفاءة وقدرة تقنية عالية من الباحث نظرا لخصوصية الظاهرة النفسية والاجتماعية وما تمتاز به من التغير والتعقيد مما يصعب عملية ضبط المتغيرات وإزالة اثر العوامل الدخيلة والطفيلية التي تؤثر على النتائج وتحد من الوثوق بها.

3. المنهج الإكلينيكي أو العيادي : la méthode clinique

تشير كلمة إكلينيكي أصلا إلى شيء مرتبط بدراسة الظواهر غير العادية بشكل عام والمرضية بشكل خاص، ثم امتد هذا المعنى إلى تقييم الفرد و توافقه ، وتختلف الطرق التي تستخدم في دراسة أية حالة إكلينيكية . و تعتمد الطريقة الإكلينيكية في علم النفس التربوي على جمع معلومات تفصيلية عن سلوك فرد بذاته أو حالة. وقد تكون الحالة شخصا أو مدرسة أو أسرة أو مجتمعا محليا أو ثقافة كاملة، وتهدف بذلك إلى وصف دقيق و مفصل

للحالة موضوع الدراسة . كما أشرنا إلى وجود اختلاف في الطرق المستخدمة في دراسة الحالات الإكلينيكية، إلا أن هذه الطرق يمكن أن تشترك في النقاط التالية بعضها أو كلها:

1- **جمع المعلومات عن الحالة:** ويمكن الحصول على هذه المعلومات عن طريق الفحص الطبي، أو دراسة حالة، أو باستخدام الاختبارات السيكولوجية، و يتوفر الآن عدد كبير جدا من اختبارات السمات الشخصية، و اختبارات الذكاء و التحصيل الدراسي و التوجه المهني.

2- **تشخيص الحالة:** استنادا على المعلومات المتوفرة لديه، يتوصل الباحث الإكلينيكي إلى تشخيص الحالة المدروسة، والتشخيص يعني تحديد مراكز القوة والضعف.

3- **تفسير الحالة:** تفيد المعلومات المتوفرة في مساعدة الباحث في الاستكشاف من خلال خبراته و معارفه السابقة، وفي تحديد العوامل و المتغيرات ذات العلاقة بالمشكلة.

4- **وضع التصميم العلاجي :**

يبدأ الباحث بوضع الفرضيات التي يعتقد أنها تزوده بحلول لمشكلة الحالة ، فإذا اكتشف مثلا أن طريقة التدريس التي يتبعها المعلم هي عامل من العوامل المسؤولة عن التأخير الدراسي لدى تلاميذه ، عندئذ يمكن أن يضع فرضية مفادها أن تطبيق طريقة تدريس أخرى مثلا (تطبيق طريقة الحوار) في التدريس يمكن أن تقلل من ظاهرة التأخر الدراسي ، يلي ذلك وضع التصميم العلاجي المنبثق من الفرضيات التي وضعها الباحث ، و المهم في هذا التصميم أن يكون الباحث قادرا على قياس المتغيرات المستقلة و المتغيرات التابعة.

5- **اختبار الفرضيات:** يقوم الباحث بتطبيق تصميمه العلاجي على الحالة و في نهاية الفترة المحددة لهذا التطبيق ،يقوم بقياس أثر ما أحدثه هذا التصميم من تغير في الحالة المدروسة ، ليصل في نهاية الأمر إلى قبول الفرضية أو رفضها.

6- **النتائج:** ينتظر من الباحث الذي يستخدم المنهج الإكلينيكي أن يصل إلى نوع من التحسن، وعندئذ يستطيع أن ينشر نتائج دراسته على شكل طريقة في العلاج *une conduite thérapeutique*.

نستنتج من خلال شرحنا لمختلف أنواع المناهج التي يمكن استخدامها و تطبيقها في علم النفس التربوي أن ننتظر من الباحث الذي يطبق المنهج الوصفي أن يقدم وصفا دقيقا للظاهرة موضوع الدراسة ، وأن يكشف عن بعض العلاقات الوظيفية بين المتغيرات ، أي أنه يقدم تفسيراً للظواهر التي يدرسها. أما الباحث الذي يطبق المنهج التجريبي فيتوقع منه أن يكشف عن العلاقة بين المتغيرات و ما إذا كان لهذه العلاقة دلالة إحصائية ، أو يكشف عن الفروق بين المتغيرات و عن دلالاتها الإحصائية.

كما أننا ننتظر من الباحث الذي يطبق المنهج الإكلينيكي أن يتوصل إلى وضع طريقة للعلاج. (أبو جادو، 2005)

و من أشهر علماء النفس الذين طبقوا المنهج العيادي أو الإكلينيكي في ميدان علم النفس التربوي العالم السويسري جان بياجيه jean piaget في دراسته للنمو الإنساني بصفة عامة و داسته للنمو المعرفي بصفة خاصة.